الدكتور صرُّوف والمقتطف

ماذا اعطاهُ وماذا اخذ منهُ

١ : ماذا اعطاهُ

حكماء الامم

لقد تلقيتُ في مطالعاتي أدب كنفوشيوس ، وتقوى سقراط ، وحكمة بوذا ، واتّزان زرادشت ، وعدالة عمر ، وصراحة كرمويل ، وسعة هيغل ، وصراحة كنت ، وخيال فلتون ، وفصاحة هيوغو ، وديموقراطية تولستوي ، وسداد لوبون ، واخلاص دي مولان ، وحرية شكسبير ، ودقة ملتن . ولكن اربعة في نوابغ الادهار المشهورين ، استهوتني وهم : افلاطون اليوناني ، وامرسن الاميركي ، وكنت ملر الالماني ، وفكتور غيرو الفرنسي . واذا اضفتُ الى هؤلاء خامساً فهو الدكتور صرُّوف صاحب « المقتطف » فقد استهواني منذ نعومة اظفاري

صروف والمقتطف

الدكتور صرُّوف والمقتطف اسمان متلازمان ، لا يذكر احدهما الاّ وقد تمثّل الآخر في الخيال . ظل هذان الرفيقان معاً زهاء الاثنين والخمسين ربيعاً . ورفيقان كهذين يتبادلان الافضال والنوال . فماذا اعطى الدكتور صرُّوف المقتطف ، وماذا ردّ المقتطف عليه ؟

احلام الاعيان

الناس ضحايا احلامهم ، واحلام الناس ظاهرات عقولهم ، وتطبيق حياتهم على احلامهم مقياس ماهياتهم ، واعلان ذاتياتهم ، ومجلى حقيقتهم . ويوم المات هو ختام الرسم والاعلان . وبهذا الاعتبار قيل ان حياة المرء الحقيقية تبتدئ يوم موته

وتختلف الاحلام ، في مختلف الرجال ، في مختلف الامم ، في مختلف العصور ، في مختلف الاحوال . فقد كان حلم الاسكندر ملك الدنيا ، وحلم هنبال سيادة قرطاجنة وحلم ارمنيوس تحرير اوربا ، وحلم بولس تنصير البشرية ، وحلم جان دارك تحرير فرنسا ، وحلم كولمبوس كشف العالم الجديد ، وحلم ابرهم لنكلن تحرير العبيد ، وحلم

يبارك زعامة بروسيا في المانيا ، وحلم فلورنس نيتنجال تخفيف آلام المرضى ، وحلم هوارد اصلاح السجون ، وحلم وليم بوث تنوير الفقراء ، وحلم مصطفى كمال انقاذ تركيا وحلم موسوليني رفعة ايطاليا . وتراجم الاعيان تحاف تتجلى فيها احلامهم ، والخط الذي يرسمونهُ في تحقيقها

اما حلم الدكتور صروف فهو تنوير الامة العربية ورفع مستواها الفكري والاجتماعي بواسطة المقتطف . بهذه الفكرة عاش وتحقيقها سعى الحياة بطولها . وبمجلدات المقتطف الستين آية بينة في متحف التاريخ تتجلى فيها احلامهُ وتحقيقها . وفي ٦ يوليو سنة ١٩٢٧ انتهى عملهُ المباشر في تحقيق حلمهِ تليهِ تابعتهُ الخالدة

قابليات الرجال

اذا ارسلنا النظر في ذلك الفارس المغوار ، الذي صال في ميدان العلم والادب وجال ، نحو ستين سنة ، رافعاً علم العلم والفن والصناعة والفلسفة ، بحثاً وتنقيباً وتمثيلاً وترجمة وتأليفاً ، رأينا فيهِ ما بدا منهُ للعيان ، وما كان يمكن ان يكونهُ . وذلك غاية ما يدرك في درس الرجال

والذي اراهُ في الدكتور صروف انهُ كان يملك مواهب تحلّى بها في سبيل مجلّة المقتطف ، وكان يمكن ان تبرز هذه المواهب الى حيّز الوجود لولا اشتغالهُ بالتحرير . فكان يمكن ان يكون احد اربعة : شاعراً : رياضيًّا : طبيعيًّا : روحيًّا : واليك البيان

شاعرية الدكتور صروف

هل كان الدكتور صروف ذا شاعرية ؟ وما هي ظاهرات شاعريته ؟ اما انا فارى ان المقتطف نفسهُ كبرى تلك الظاهرات ، على النحو الذي رأى بج هينل شعرية الوجود . فقد ذهب ابو الفلسفة الحديثة الى ان نظام الافلاك الدوارة ، وتلاؤم اجزائهِ ، وسمتها ، وترابطها ، ونواميسها ، شعرية كونية يدركها المفكّر الحصيف . وارى في نظام المقتطف وتبويبهِ واتّساقهِ وأدبهِ وبيانهِ وصبغتهِ ، على هذا النحو ، شعرية لها في نفوس قرائهِ رنّة المطربات وقد تزيد

على اني اذا رمت امثلة من الشاعرية البارزة بنظم القوافي فلا احرم الكثير منها ، فللدكتور صروف من هذا النوع شيء كثير . من ذلك قولهُ في نصب دي لسبس على وصيف الترعة في بور سعيد

يا مارج البحرين يلتقيان أنت المثل همّة الانسان
قف حيث انت فتلك اعظم وقفة فالخافقان هناك يجتمعان

وقال في باريس

ودّعت باريس مفتوناً بمرآها وآي حسن تجلّى من محيّاها
وجاء ملك رفيع الشأن جاورها دهراً طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسطرٌ في معالمها وبدرهُ مشرق في أوج علياها
وعصبة عصمتهم في صناعتهم إلاهة الحسن فاستهدوا بسناها
وخلّدوا ذكر ارباب السيوف ومن فاق الورى حجّةً او فاتهم جاها
او غاص بحر المنايا فاجتنى درراً وصاغ منها حُلَى حسن بها باها
او غاص في لجّ بحر العلم مجتلياً غوامض الكون تعساً لجدواها
وآل علم وفضل طار صيتهم فطبّق الكون ادناها واقصاها
ودّعتها وبنفسي من محاسنها آيات حسن يهيج الشوق ذكراها

وله من قصيدة في سرّ الوجود

فتشت عن سر الوجود وقصدهِ وسألت عنهُ القطن والاحبارا

. . . . . .

فاجابني ركز خفيّ قائلاً اسمع وقل قولي أمنت عثارا
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
ورقيّ هذا الكون يستدعي ابتدا ر دقائق وغاية وبوارا

ثم صرخة صادرة من قلب توّاق الى معرفة الحقيقة

أنموت من اجل الرقيّ ضحيةً ونصير في طلب النجاح غبارا
نور الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقلَ ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر مبشراً نفذوا الحقيقة خلّةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتلمست واستوقفوا المبنى فزاد قرارا

وارى في البيت الاخير ولاسيما في عجزه شاعرية مسفرة كشمس الضحى.

وله وقد بلغ الشيخوخة

سبعون حولاً لقد مرّت وما وجدت نفسي مقراً لها في العالم الفاني

فهل اذا عمّرت سبعين اخرى ترى ... من مرقبٍ بين ابحارٍ وخلجانِ
كلا . احساسنا والموت يرصدها ... فالنفس مرقاها في عالمٍ ثانِ
قرطان اما فناء والبناء له ... لغوٌ واما بقاء شاءهُ الباني
اما واحساسنا ليست سوى صورٍ ... مشكلات باشكالٍ والوانِ
كهاربٌ جمّعها النفس فانتظمت ... في شكل مستودعٍ للنفس جثماني
حتى اذا تمّ في الدنيا تطوّرها ... طارت الى مركزٍ في الكون روحاني
لا بدّ للعلم من يوم يفوز بما ... يبيّن الحقّ فيه خير تبيانِ

ولو جمعت كل منظوماته لاربت على ديوان برمته

على اننا مع كل احترامنا للدكتور صرّوف لا يمكننا ان نضمهُ في طبقة هوميرس ودانتي وغوته وشكسبير ، ولا رتبة ملتن وتنسن وهيوغو ولامارتين والمتنبي والمعري . بل ولا في مصاف رجال الطبقة الاولى من شعرائنا الحاليين . ولماذا ؟ . لانهُ باشتغاله بالمقتطف محّى بشاعريته التي تتجلى لنا من خلال سطوره تجلّي الشمس من خلال الغيوم

العلوم الرياضية والفلكية

وهي في حسباني اجلّ من الشاعرية قدراً ، واوفر في دائرة الاجتماع نفعاً ، واسمى في ملكوت الفكر عرشاً . فما هو مقام الدكتور صروف في دائرة الرياضيات ؟ وفي قبة الفلك ؟

امّا انهُ كان قبل سبع وخمسين سنة استاذ الرياضيات في ارقى معاهد الشرق العلمية فامر تاريخي . واما انهُ ملأ المركز الذي شغلهُ بضع سنوات ، فحقيقة محفوظة في سجلات الجامعة الاميركية في بيروت

زد على ذلك ان الدكتور صروف فتح في مجلة المقتطف باباً للمسائل الرياضيّة هو عديم المثال في الصحف والمجلات العربية . كان نوابغ الفن يتطارحون فيهِ المباحث الرياضية ويتسابقون الى حلها في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات واللوغرثمات وحساب التمام والتفاضل والفلك ودخلوا في مناقشات رياضية لا يفهمها الاّ خاصة ارباب العلوم المجردة . اذكر منهم همام والحوراني ومشاقة وشفيق منصور والشدودي . وكان الدكتور صروف الحكم والمرجع غير منازع

زد على ذلك انهُ ابرز كتاباً في بسائط علم الفلك ظهر فيهِ علمهُ واطلاعهُ

الواسع في هذا العلم الجليل . هذا عدا المقالات الضافية التي كان يزين بها جيد المقتطف من حين الى حين ، في النظام الشمسي والسيارات والثوابت والكلف الشمسية والمذنبات والنيازك والسدم وبناء الكون وظاهراته الكهربائية والمغناطيسية وبتراجم الفلكيين والرياضيين من رجال الطبقة الاولى مع تبيان مذاهبهم وآرائهم . وفي كل ذلك كان الدكتور صروف بعيد الغور ، واضح البيان ، سهل المأخذ ، راوياً عطش النفس

على انهُ مع كل ذلك لم يدرك شأو العبقريين في هذا الفن كفيثاغوروس وأقليدس وارخميدس وكبلر وهرشل وتيخوبراهي وكبلر وميكلنصن وكلفن وانشطين ولا ارى من سبب حال دون التحاقهِ بهؤلاء الارهاط الا اقبال نجم الرياضيات في الشرق واشتغال صاحب هذه المواهب بانشاء مجلة المقتطف . ولو حصر قوتهُ وعمرهُ في الرياضيات لا كان ادراكه شأو من ذكرنا ببعيد المنال

الطبيعيات — والكيمياء — والفلسفة

والطبيعيات اعمق مباحث العلم البشري مناصاً ، واوسعها مجالاً ، واغزرها نتاجاً ، وعليها المعوَّل في جامعات اوربا واميركا لبلوغ البشرية طور رشادها والقبض على ازمة الطبيعة واستخدامها في مصلحة بني حوَّاء ، وللوقوف على سرّ تكوُّن المادة وحلها ، وتركيب العناصر ونحوُّلها ، وادارة رحى الحوادث الكونية في عالم البيولوجي والفيزيولوجي والسيكولوجي والانثولوجي . وهذا الفرع من العلوم مناط آمال الناس وعجور الاعمال والسياسات وتصوُّرات البشرية

اما ان الدكتور صروف كان صلتا برجال هذا الميدان ، وبهِ وبمقتطفهِ عرفناهم فامرٌ لا نجهلهُ . فقد عرَّف البنا كلارك مكسول وفارادي وداروين وولس وتندل وهكسلي واغاسيز وڤلطا ومنديلف وكرشوف وطمهلتز وهيكل ولدج وطمسن ومركوني وهرتز وتسلا واديصن وباستور وكوخ وفركلين وبنسن وبوهر ولارمور وملبكان وكروكس وطورشلي وغاليلي

كما انهُ عرَّف اخواتهم الكيائين دلتن ولافوازيه وبيلي وبلاك وكفانديش ودايفي ورامزي وصدي وارنيوس وبرزيليوس ومنتهوف وكوري ودوماس وشيلي وليبج . فمقتطف صروف هو المجلى البديع ، وبهِ رأينا هؤلاء الاعجاب عن كثب ، وعرفنا ان بهم ازدانت جبهة البشرية ، وبهممهم العالية تمكنت الذراع البشرية من القبض على ازمَّة الطبيعة

وقد عرفنا بالمقتطف فلاسفة الادهر من عهد حمورابي وبيليس حتى الساعة . وفيهم طاليس وسقراط وافلاطون وارسطو وسنيكا وبلينيوس وشيشرون واوغسطين وابن رشد وابن ماجي وابن سينا وباكن وديكارت ولوك وهيز ومالبروك وليبنز وشيلنغ وهيغل وكنت وسبينوزا وكنت وڤولتير وديدرو وروسو وبوصويه وسبنسر وجيمس وبرغسن ونيتشه وبخنر واضرابهم

على ان الدالة لا تأذن لنا بادراجه في هذا السلك ، لان اشتغاله بالمقتطف حرمه من بلوغ شأو الكواكب اللامعة في سماء المجد في الطبيعيات والكيمياء

الثقافة الروحية

اما فطرة الدكتور صروف الروحية فتتجلى لبصير في كل كلمة في كل سطر ، في كل صفحة ، في كل مجلد من مجلدات المقتطف . ولو اردت ايراد الامثلة على ذلك لهان عليَّ الامر. فقد كان الدكتور صروف في شبيبته رئيساً ومديراً لمدارس الاميركان في صيدا وطرابلس الشام . وقد ترجم للارسالية بعض الكتب الادبية المفيدة الى اللغة العربية ككتاب سر النجاح للقس صموئيل سميلز ، وكتاب الحرب المقدسة لجون بنيان ، وغيرهما . وظل يحترم المبدأ الروحي الى نهاية حياته . وكانت سيرته مرآة الادب والفضل كاحسن المنادين بالبر ، والتزم قويم المسالك مع كل ما بلغ من الفوز والشهرة والثراء . ولم يعرج عن ادبه قط ولو مع شر الخصوم . واكبر ما نحفظهُ لهُ من الانحاء باللوم قوله في خصمٍ شديد المراس : سامحهُ الله :

والثابت عندي انهُ لو ظل في خدمة الارسالية الاميركية في التعليم والوعظ والترجمة لما قصَّر عن ادراك شأو كبراء اللاهوت كاوغسطينوس واكويناس وبوناونتورا وملانكثون وكلس وبطلر وكاري وتيلر وزملائهم . وهذه ايضاً فطرة رابية نحنى بها الدكتور صروف على مذبح المقتطف

المالية

على انهُ ايضاً كان مضحياً بالمالية في سبيل المقتطف

اذا كانت مجلة عربية في الارض تستحق الارباح الوافرة فتلك المجلة هي المقتطف ، مصباح العلم والفن والفلسفة والاختراع لسبعين مليوناً من ابناء العربية . على ان المقتطف لم يكن مجلة تجارية ، ولم يكن اعتماد منشئهِ عليهِ للعيشة . ولم يتبع خطوات المطبوعات التجارية لكسب اموال الناس ، ولولا ثبات الدكتور صروف ، وكلفهِ

بالمقتطف ، لما كان لنا مقتطف ، ولكان انطفأ ذلك المصباح المنير

والخلاصة : ان الدكتور صروف نحى بخمسة اشياء في سبيل المقتطف وهي : شاعريته : رياضياته : طبيعياته : روحية منحاه : ماليته : وكل واحدة من هذه التضحيات هي من الخطورة بحيث يتردد غير امتاله في التضحية بها . ولكنه نحى بها غير آسف ولا متردد . فهل استحق المقتطف هذه التضحيات ؟ . ولم استحق ؟ . هي مسألة أرجئ الجواب عنها الآن . واستأنف البحث في الشق الثاني من موضوع هذه المقالة وهو:

ماذا رد عليه

هنا اقف حائراً ، لاني في مفرق الطرق بين كثير المنعرجات ، امام قضية عديدة الوجهات . وموجب الحيرة ليس قلة ما يقال بل كثرته . فكيف ابدأ ؟ . اية وجهة او اية سمة اختار ؟

لا بدل من غير مكافأة . وقد رأينا ما بذله الدكتور صروف في سبيل المقتطف. فما هي مكافأته ؟ اني اختار ثلاثة من انواع المكافأة اشير الى كلٍّ منها بالاختصار

الاولى : جزاؤه علميًّا — زيادة معارفه

الثانية : جزاؤه اجتماعيًّا — اعلان جلال نفسه

الثالثة : جزاؤه روحيًّا — خدمته الانسانية

اتساع نطاق معارفه

النحلة وهي تجني عسلاً تتغذى هي اولاً بالعسل. تتذوق قبل ان تذيق . ونفس الدكتور صروف المتعطشة الى مناهل العلوم والمعارف ، التوّاقة الى مجالي الكشف والتحليل والاطلاع ، نالت بغيتها في سياق جنيها شهد العلوم والمعارف لروّاد قفيرها المقتطف . فلا احد في ابناء الضاد اوسع اطلاعاً من الدكتور صروف على المذاهب العلمية والنزعات الفلسفية ، ومعرفة افاضل الغرب واساطين الحكمة والادب والفن فلا رجل كبير في العلوم والفنون والسياسة والادب والتجارة والاكتشاف الا وهو معروف جيداً للدكتور صروف . كذلك لا يوجد فرع في شجرة العلوم والمباحث لم تلامسهُ ريشة الدكتور صروف . وليس على من يريد ان يقف على ذلك الا ان يذهب الى ادارة المقتطف ويلقي نظرة على فهرس موضوعات المقتطف فانهُ ليذهل، اي ذهول ، اذ لا يرى شهيراً في الارض خارج ذلك الفهرس . ففيه الاكابر والقياصرة والامبراطرة والنوّاد الفاتحون، ورجال الدين والاصلاح واليقظة والابتكار والاكتشاف

والروَّاد ورجال المال والاعمال والاطباء والجراحون والعلماء والفلاسفة وارباب الفنون الجميلة ، وجميلات النساء وكبار المحسنين والخطباء والمرنمين ومشاهير الدنيا في كل فرع. ويرى فيه ايضاً جميع عواصم الدنيا في الحاضر وفي الغابر ، ودورها وشارعها ونظمها وعادات اهلها ونشأتها ومصيرها في اقسام التاريخ الثلاثة . ويرى فيه ايضاً الحيال والسهول والبحيرات والانهار والخلجان والبراكين والشركات على انواعها والمتاحف والمعارض والجامعات والتقارير السياسية والمعاهدات الدولية والاساطيل الحربية والسكك الحديدية والمباحث النفسية وسير العلوم وتدرجها شهراً فشهراً مدة ستين سنة

فالمقتطف مدينة العلم والدكتور صرُّوف بابها وحاجبها . والمعارف روضة زاهرة والدكتور صروف بستانيها . فدائرة اطلاعه اوسع دوائر الاطلاع في بني النضاد . وذلك جزاء كبير لمن يحب العلم لذاته . فالمقتطف كافأ الدكتور صرُّوف بهذا الاطّلاع ولولا المقتطف لاستحال ان يبلغ هذا المبلغ . اجل كان يمكنهُ ان يبلغ في احد الفروع كالرياضيات مثلاً ، او الشعر . ولكنهُ اذ ذاك لا يبلغ ما بلغهُ من الممكن وسعة الاطلاع في كل دوائر البحث على اختلاف موضوعاتها . فصحَّ في الدكتور صروف ، بهذا الاعتبار قول صاحب الامثال : يوجد من يفرّق فيزداد : فقد وزَّع الدكتور صروف حقائق العلوم ولكنهُ بذلك التوزيع ازداد علماً واطلاعاً

اعلان جمال نفسه

هذه ثانية مكافآت المقتطف لمؤلفه . فقد منح المقتطف كاتبهُ اثمن فرصة لاعلان جمال نفسه . وذلك غاية ما يرمي اليه الرجال في ميادين العمل في هذا الوجود

ما هو الجمال ؟ . بل ما هي مجالي الجمال ؟ . وهل كانت نفس الدكتور صروف جميلة ؟ . وهل تمكَّن من اعلان ذلك الجمال في المقتطف ؟

الجمال من الكليات التي تدرك بالبداهة ولا تتقيَّد بالحدود فيلامسها الذوق الروحي في النفس ولا تقوى الالفاظ على الاحاطة بها . وجمال النفس اسمى جمال ، وهو خلاصة ما ذخر في اهراء الوجود من نفائس الاعلان . واستكشاف الجمال هو غرض الحكيم الخاص . والجمال اس الحب . وذلك الحب هو معراج الفلسفة على ما اثبت افلاطون امام المفكرين في كل العصور وقد نقر على هذا الوتر الصوفيون — تلامذة افلاطون وذراريه في كل العصور — ولست لارقص على هذا اللحن ، فاقرع باب الصوفية والتصوّف ، واين الحكمة في نشوتها وسيادتها . لا . ان المقام اضيق من ان يتسع لمثل

هذا المطلب البعيد الاطراف . فاقتصر على نثر جمل مختصرة في مجالي جمال نفس الدكتور صروف على ما تبيناها في المقتطف . وهما : توازن القوى

فضائل النفس الاربع

ذهب افلاطون ، وتابعهُ في ذلك ارسطو ، وقفى عليهما اتباعهما مدة القرون ، الى ان في الانسان اربع قوى لها اربع فضائل

الاولى : القوّة الذهنية وفضيلتها « الحكمة »

الثانية : القوّة العصبية وفضيلتها « الشجاعة »

الثالثة : القوّة الشهوية وفضيلتها « العفاف »

الرابعة : القوّة الادارية وفضيلتها « العدالة »

وعلى هذه الفضائل الاربع — الحكمة والشجاعة والعفاف والعدالة — اسس افلاطون دولة النفس الكاملة في الفرد وفي المجموع، على ما هو مشروح في «الجمهورية» قال افلاطون ان النفس الحاصلة على هذه الفضائل مع التوازن والائتلاف فهي «جميلة»

وقد رأينا ذلك التوازن والائتلاف في مقتطف الدكتور صروف . فكان قانونه المتبع « لا افراط ولا تفريط » . ومع ان المقتطف مجلة علمية صناعية لم يألُ جهداً في خدمة الادب والفن والاجتماع . ومع انهُ مجلة جدّية لم يكن ناشفاً . ومع انهُ اتصف بالتدقيق لم يكن متطرفاً . ومع شدة اماتته لم يكن قاسياً شاحباً . بل كان وديعاً هادىء الروح ككرمة دانية القطوف صافياً عميقاً كبحيرة عذبة المورد . وبذلك يعلن لنا المقتطف مجلى من مجالي نفس كاتبه وناسج برده

احترام الحقيقة

وهذا ثاني مجالي الجمال والرجال الحريصون على الحقيقة في وسط تيّار الاجتماع هم جواهر الشرق — بل جواهر التاريخ التوالي — والدكتور صروف هو — في الشرق — احدى تلك التوال . فقد تشبّث بالحقيقة الى غاية ما يمكن لا تنيه عنها لومة لائم . فلم يغش محبّا الحقيقة مصانعة . والنفس لا تحب الحقيقة الى هذه الدرجة ما لم يكن رسم الحقيقة مطبوعاً على صفحاتها . ورسم الحقيقة على صفحات النفس هو الجمال الحقيقي الذي تهواهُ النفوس . ولا نفس تهوى الحقيقة ما لم يكن لها في ذاتها حقيقة . وشغف النفس بالحقيقة هو ظاهرة التفاهم بين النفس وبين الحقيقة

لست ازعم الكمال في المقتطف . فان امكان تسرّب الخطأ اليهِ ، والى كل

كتابات البشر، امر لا يفتقر الى دليل . ولكن حرص الدكتور صرُّوف على اثبات ما اعتقدهُ حقًّا هو المجلى البديع في حياته . والمقتطف كان اللوحة التي عليها تجلّى ذلك الجمال. فهل قدر احد ان يزحزح الدكتور صروف قيد انملة عن معتقده في مسألة الارواح وتخاطبها او في النشوء ، وما شاكل ذلك من الموضوعات التي كانت مدار البحث منذ انشىء المقتطف

النجدة

النجدة في رأس قائمة اغراض الدكتور صروف في المقتطف . كتب اليَّ سنة ١٩٠٣ يقول : « اني ارمي بالمقتطف الى رفع مستوى الامة اجمالاً ، وهو غرض بعيد المنال لا يقضى قبل المئات من السنين » . فكان يفتح الابواب امام العقول لتهب من سجنها وقيودها . وحيث لا يمكنهُ ان يقول ، عملاً بحكم الاحوال ، كان يشجع غيره اذا قال من ذلك تقاريظ كتاب قاسم بك امين وكتاب باحثة البادية . فانك لترى النجدة تتألق في خلال سطوره تألق شمس الصباح

الشجاعة والنزاهة

الدكتور صرُّوف على ما هو ممثل لنا بقلمهِ في المقتطف اديب لوذعي فذ تزينه المواطف ، لين العريكة ، وصين كلي الجد ، غير مماذق ولا غمّاز لماز . وهو الذي ابتدع هذه العبارة — مناظرك تظرفك — وجعلها شعار البحث في المقتطف . وقد طبق عملها عليهِ ، حتى انهُ مدة اثنتين وخمسين سنة لم يخالف حكمها قط . وكان يحذف من الرسائل الواردة اليهِ كل ما ساورهُ الغرض للشخصيات . وبعضها كان يحذفها برمتها مهما يكن من امر كاتبها

فكان الدكتور صرُّوف الرجل الذي تحتاج اليهِ الامة والبلاد في عصر نهضتها ويقظتها واذا كان المقتطف وسيلة فقط لاعلان جمال نفس الدكتور صرُّوف فهو نوع من المكافأة ازاء ما بذلهُ الدكتور صروف في سبيل المقتطف من التضحيات

الخدمة

هي ثالثة انواع المكافأة التي ردها المقتطف الى الدكتور صروف . وجد الرجال ليخدموا ، لا لغرض آخر . ونقطة دائرة خدمتهم البناء الانساني العظيم ، فالغرض السامي لهم للخدمة هي اثمن الحيات . فاذا خدموها فقد اتموا غرض الحياة وقد اتاح المقتطف للدكتور صروف ادراك غرض الحياة . فكان رسالتهُ الحية للاجيال

التالية . وبه نقل الدكتور صروف من حدائق الغرب الى لغة الاعراب كل طريف شهي ، وزين هاتها بنفائس الاعلاق . ولم يهب قلم اللغة العربية ما وهبها قلم صروف ، من كنوز العلم وطرائف الحكمة . فهو زعيم النهضة العلمية غير منازع ، ومقدام رجالها غير مزاحم

فما يستلزمهُ الدفاع عن شرف الامة في عيون الاحفاد هو ان تقدر الامة زعيمها وتحلهُ المحل الجدير به من المحبة والاحترام . واعظم ما تستطيعهُ الامة من هذا القبيل هو تجلية مزاياه الروحيَّة وتبيان اهليته . انها بذلك لا تهبهُ شيئاً ولكنها تبرهن للملا انها نبتهُ

واخيراً آتي للجواب عن المسألة التي ارجأت الجواب عنها وهي : هل استحق المقتطف التضحيات التي ضحى بها الدكتور صروف في سبيله ؟

والجواب : اذا لم يكن يستحق ذلك بالنظر الى المضحّي فانهُ يستحقهُ بالنظر الينا لان مجلدات المقتطف بيننا افيد من اي نظام فلسفة او ديوان شعر . اقول اننا احوج الى المقتطف منا الى الايادة هوميروس او فلسفة سبينوزا

ويكفي الدكتور صروف انهُ سدَّ في اللغة العربية هذا الفراغ . فهل قليل عندنا انهُ في خلال ستين سنة انبرى لتقليده عشرات من كبار الكتاب ومع ذلك لا يزال المقتطف الى الآن فريداً في بابه . فاننا ليس عندنا مجلة تحل محلهُ . او قليل انهُ في سبعين مليوناً من ابناء الضاد لا يوجد رجلان يملآن مركز صروف . ولا يفوت المنصف ان مجموع الجهود التي استلزمتها مجلة المقتطف لا تقل عن جهود عبقري في بلوغ شأو الشهرة في فرع او فلسفة ، وقد تزيد عليه . فلم يقاس الدكتور صروف في انشاء المقتطف — لم يقاس بمواهبه وحياته — بل عمل شيئاً مشروعاً . ووقف نفسه لاعلى عمل تستلزمهُ حال ابناء العربية . فاصدار المقتطف قفزة في الظلام هذا بعض ما تراءى لي في امر الدكتور صرُّوف والمقتطف ولا ارى من يماري في ذلك من حصفاء الباحثين . واؤكد ان كثيرين منهم يتقدمون الحد الذي بلغتهُ في تشريع ذاتية الدكتور صرُّوف تجلية لمحاسنها وفوائدها لابناء امته . ولاشك عندي في ان ابناءنا واحفادنا سيكونون ابعد منا مرمى في هذا الميدان

حنا خباز